

تفسير البحر المحيط

@ 510 @ القرآن لجاز حذفها . ولم تأت في قوله : { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ } لمعنى يذكر هناك ، إن شاء الله تعالى .

{ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ } : في موضع المفعول بيود ، وبناءؤه للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به ، وللتصريح به في قوله : { مَنْ رَبِّكُمْ } . ولو بني للفاعل لم يظهر في قوله : { مَنْ رَبِّكُمْ } . { مَنْ خَيْرٌ } ، من : زائدة ، والتقدير : خير من ربكم ، وحسن زيادتها هنا ، وإن كان ينزل لم يباشره حرف النفي ، فليس نظير : ما يكرم من رجل ، لانسحاب النفي عليه من حيث المعنى ، لأنه إذا نفيت الودادة ، كان كأنه نفى متعلقها ، وهو الإنزال ، وله نظائر في لسان العرب ، من ذلك قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنْ سَلَّمَ إِلَهُهُمُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ * وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقُهُنَّ بِقَادَرٍ } . فلما تقدّم النفي حسن دخول الباء ، وكذلك قول العرب : ما طننت أحداً يقول ذلك إلا زيد ، بالرفع على البدل من الضمير المستكن في يقول ، وإن لم يباشره حرف النفي ، لأن المعنى : ما يقول ذلك أحد إلا زيد ، فيما أطن . وهذا التخريج هو على قول سيبويه والخليل . وأما على مذهب الأخفش والكوفيين في هذا المكان ، فيجوز زيادتها ، لأنهم لا يشترطون انتفاء الحكم عما تدخل عليه ، بل يجيزون زيادتها في الواجب وغيره . ويزيد الأخفش : أنه يجيز زيادتها في المعرفة . وذهب قوم إلى أن من للتبعيض ، ويكون على هذا المفعول الذي لم يسم فاعله هو عليكم ، ويكون المعنى : أن ينزل عليكم بخير من الخير من ربكم .

{ مَنْ رَبِّكُمْ } : من : لابتداء الغاية ، كما تقول : هذا الخير من زيد . ويجوز أن تكون للتبعيض . المعنى من خير كائن من خيور ربكم ، فإذا كانت لابتداء الغاية تعلقت بقوله : ينزل ، وإذا كانت للتبعيض تعلقت بمحذوف ، وكان ذلك على حذف مضاف ، كما قد رناه . والخير هنا : القرآن ، أو الوحي ، إذ يجمع القرآن وغيره ، أو ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم) من التعظيم ؛ أو الحكمة والقرآن والظفر ؛ أو النبوة الإسلام ، أو العلم والفقه والحكمة ؛ أو هنا عام في جميع أنواع الخير ، فهم يودون انتفاء ذلك عن المؤمنين ، سبعة أقوال ، أظهرها الآخر . وسبب عدم ودهم ذلك : أما في اليهود ، فلكون النبوة كانت في بني إسماعيل ، ولخوفهم على رئاستهم ، وأما النصارى ، فلتكذيبهم في إدعائهم ألوهية عيسى ، وأنه ابن الله ، ولخوفهم على رئاستهم ، وأما المشركون ، فلسبب آلهتهم وتسفيه

أحلامهم ، ولحسدهم أن يكون رجل منهم يختص بالرسالة ، واتباع الناس له . .
{ وَاللَّهِ يُخَيِّتُكُمْ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ } : أي يفرد بها ، وضد الاختصاص :
الاشتراك . ويحتمل أن يكون يختصّ هنا لازماً ، أي ينفرد ، أو متعدّياً ، أي يفرد ، إذ
الفعل يأتي كذلك . يقال : اختصّ زيد بكذا ، واختصته به ، ولا يتعين هنا تعديده ، كما
ذكر بعضهم ، إذ يصح ، وإِ يفرد برحمته من يشاء ، فيكون من فاعلة ، وهو افتعل من : خصصت
زيداً بكذا . فإذا كان لازماً ، كان لفعل الفاعل بنفسه نحو : اضطررت ، وإذا كان متعدّياً
، كان موافقاً لفعل المجرّد نحو : كسب زيد مالاً ، واكتسب زيد مالاً . والرحمة هنا عامة
بجميع أنواعها ؛ أو النبوة والحكمة والنصرة ، اختص بها محمد صلى الله عليه وسلم) ،
قاله عليّ والباقر ومجاهد والزجاج ؛ أو الإسلام ، قاله ابن عباس ؛ أو القرآن ، أو النبي
صلى الله عليه وسلم) ، { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ، هو نبي
الرحمة ، أقوال خمسة ، أظهرها الأول . .

{ وَاللَّهِ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } : قد تقدّم أن ذو بمعنى صاحب . وذكر جملة
من أحكام ذو ، والوصف بذو ، أشرف عندهم من الوصف بصاحب ، لأنهم ذكروا أن ذو أبداً لا
تكون إلا مضافة لاسم ، فمدلولها أشرف . ولذلك جاء ذو رعين ، وذو يزن ، وذو الكلاع ، ولم
يسمعوا بصاحب رعين ، ولا صاحب يزن ونحوها . وامتنع أن يقول في صحابي أبي سعيد أو جابر :
ذو رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وجاز أن يقول : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
ولذلك وصف الله تعالى نفسه بقوله : { ذُو الْجَلَالِ } ، { ذُو الْفَضْلِ } ، وسيأتي
الفرق بين قوله تعالى : { وَذَا النُّونِ } { ذُو الْهَبِ } { وَغَاثِباً } ، وقوله تعالى : {
وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } ، إن شاء الله تعالى . وتقدّم تفسير { الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ } ، ويجوز أن يراد به هنا : جميع أنواع التفضلات ، فتكون أُل للاستغراق ،
وعظمه من جهة سعته وكثرته ، أو فضل النبوة . وقد وصف تعالى ذلك بالعظم في قوله : {
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً } ، أو الشريعة ، فعظمها من جهة بيان
أحكامها ، من حلال ، وحرام ، ومندوب ، ومكروه ، ومباح ؛ أو الثواب والجزاء ، فعظمه من
جهة السعة والكثرة